رأي القدس

«فتح» وخطر التآكل الداخلي

■ شهد اجتماع المجلس الثوري لحركة «فتح» الذي انعقد مساء امس الاول في مدينة رام الله شتائم واشتباكات بالايدي بين عدد من الاعضاء جرى استخدام الاحذية في احدها، وهو امر يكشف مدى تدهور الاوضاع في العمل السياسي الفلسطيني وانحداره الى هذا المستوى المتدني وغير المسبوق.

المشكلة الاساسية تكمن في ضعف القيادة، وفي شخص الرئيس محمود عباس قائد هذا الفصيل الذي قاد العمل الفلسطيني الوطني على مدى اربعين عاما على الاقل، وقدم الآلاف من الشهداء والجرحى.

فمنذ اغتيال الرئيس ياسر عرفات مسموما في مقر قيادته في مدينة رام الله، والحركة تواجه نكسات متتالية، انعكس ابرزها في انشقاقات على كل المستويات، واتساع الهوة بين القيادة والقاعدة.

وربما يفيد التذكير بان الحركة كادت تخوض الانتخابات التشريعية الاخيرة بقائمتين متنافستين، الاولى بقيادة الرئيس محمود عباس، والثانية بقيادة مروان البرغوثي المعتقل حاليا في سجون الاحتلال، ولولا جهود وساطة اللحظة الاخيرة ونجاحها في توحيد القائمتين، لاستمر هذا الانشقاق وتطور، واصبحت «فتح» مثل التنظيمات الفلسطينية، وخاصة الجبهة الشعبية، التي مزقتها الانشقاقات الانفصالية واضعفتها.

لا احد يريد ان تتطور الاوضاع الداخلية في هذا التنظيم الفلسطيني الذي كان بمثابة البوصلة التي تحكم العمل النضالي الفلسطيني الى هذه الدرجة من الانحدار، لان النتائج ستكون كارثية على الشعب الفلسطيني بأسره.

وربما لا نبالغ اذا قلنا ان ضعف قيادة التنظيم وعجزها عن ملء الفراغ الذي تركه الرئيس الشهيد ياسر عرفات، والحفاظ على وحدة هذا التنظيم، كلها اسباب ساهمت في اندلاع الصدامات التي تشهدها الارض المحتلة حاليا، وادت حتى الآن الى مقتل اربعين شخصا على الاقل.

فالرئيس عباس الذي يهدد باجراء انتخابات تشريعية ورئاسية، كمخرج من الاوضاع المتدهورة حاليا في الاراضي المحتلة، وكخطوة لاقالة حكومة منتخبة، لم يقم بأي خطوات اصلاحية داخل حركة «فتح» ولم يدع لعقد المؤتمر العام لها، وبما يؤدي الى تجديد اطرها، وضخ دماء جديدة شابة في قمة مؤسساتها.

فاللجنة المركزية للحركة تعاني من شيخوخة معظم اعضائها الذين لم يتغيروا منذ عشرين عاما على الاقل. والشيء نفسه يقال عن المجلس الثوري، الجسم الوسط بين اللجنة المركزية والمؤتمر العام للحركة. وهذا الجمود انعكس على العمل السياسي الفلسطيني بشكل عام واصابه بالشلل الكامل. وابرز مثال في هذا الخصوص اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية.

حركة «فتح» بحاجة الى اصلاح جذري يطيح بكل الاغصان المتيبسة في قياداتها، وبما يفسح المجال لعناصر شابة نظيفة شريفة تعيد لهذه الحركة الرائدة مكانتها في صدارة العمل السياسي والعسكري الفلسطيني المقاوم.

«الخطر» الايراني... فخ امريكي

محمد صادق الحسيني

■ كل المؤشرات والعلائم تشير الى ان اليانكي الامريكي المهزوم والمأزوم امام المقاومة العراقية يحاول التعويض بتحشيد ضد ايران! وانه بصدد تحميل من يسميهم بـ«المعتدلين» العرب ثمن هذا «التحول» والذي يضعه في اجندة ما سماه باستراتيجيته «الجديدة» في العراق! وفي صلب استراتيجيته الجديدة في العراق ان يحول العراق الى «مقاطعات» عراقية متقاتلة، وان يتركز التقاتل بشكل رئيسي بين السنة والشيعة لكنه يحمل في طياته ايضا تقاتلا شيعيا ـ شيعيا وسنيا ـ سنيا.

ومن المفترض طبقا للخطة الامريكية الجديدة ان يتم ابتزاز الخليجيين لتحقيق هدفين اساسيين الاول ان يدفعوا ثمن حرب المواجهة الاعلامية والنفسية والامنية والسياسية ضد ايران وان استوجب الامر بعض الضربات العسكرية الاسرائيلية او الامريكية فتقديم الدعم اللوجستيكي اللازم ايضا بالاضافة الى الاردن.

فيما يتعهد الاردن بالدعم اللوجستيكي الكامل لتلك المواجهة بالاضافة الى خطة «عرقنة» الحرب على العراق او ما تبقى من خطة تدمير هذه الدولة وتكفيكها!

هذا فيما ستطالب مصر بالحاح وضغط شديدين لتقدم الغطاء الديبلوماسي والسياسي للمواجهة الجديدة التي يعدون لها لعزل ايران عن العالم العربي!

وكل القصص التي نسمع عنها او نقرأ في الانترنت هذه الايام بان قرى بكاملها في الجزائر قد «تشيعت» او احياء كاملة في السودان قد تحولت الى المذهب الشيعي! او الحديث المتزايد عن حملة تشييع منظمة يقوم بها حزب الله اللبناني في سورية او في لبنان بمفرده او بتعاون ايران ما هي الا حملات تضليل منظمة تشرف عليها اجهزة مخابرات دولية بالتعاون مع اجهزة مخابرات اقليمية ومنها عربية للاسف الشديد تصب جميعا في اطار الخطة الامريكية الشاملة.

والمطلب الاساسي الان هو تشويه سمعة حزب الله اللبناني الذي ركع الاسرائيليين في حرب الـ33 يوما والحق بهم هزيمة استراتيجية لن ينهضوا منها لسنوات. ومن ثم محاولة عزل سورية عن ايران تمهيدا لضربها واخيرا وليس آخرا توجيه ضربة استراتيجية قوية لايران في الوقت المناسب.

السؤال الكبير الذي يبقى دون اجابة هنا هو: اذا كان العرب يختلفون مع ايران ومع حزب الله ومع سورية ايا كان خلافهم في الحجم والدرجة والنوعية، لماذا يصرون على الوقوع في فخ مواجهة مع ايران تحت راية امريكية؟!

لا شك في ان ايران ارتكبت ولا تزال اخطاء كثيرة تجاه العرب، ولم تستوعب او تقدر حسنا الامن القومي العربي الذي يتعرض لاسوأ هجمة امريكية اسرائيلية ويعاني كثيرا من الوهن والضعف وهو في اسوأ حالاته على الاطلاق.

لكن القوة الايرانية الحالية كلاعب اقليمي مهم وكدور ممانع ومقاوم تجاه الهيمنة الامريكية وكحليف استراتيجي للبنان ولسورية ولفلسطين معطى استراتيجي متوفر بيد العرب ليوظفوه في معاركهم المختلفة التنموية والاستقلالية السلمية والجرمية. خاصة وانه معطى مستقل ودور مكتسب وليس وكيلا عن احد او طرف من اطراف القوى العظمى كما كانت عليه الحال ايام حقبة الشاه ودور «شرطي الخليج» التابع فلماذا التضحية به، بل ومعاداته؟! أليست هذه هي الجزء المهم من الخطة الامريكية الجديدة؟!

الم يكف العرب بانهم لدغوا من الامريكيين في حرب المواجهة مع السوفييت في المحطة الافغانية حكاما واحزابا ونخبا علمانيين واسلاميين؟

لقد دفع العرب المال والرجال والدم وكسب الامريكيون الطاقة والمواقع الاستراتيجية و«الشرف الرفيع» بانهم حرروا كابول من ظلام السوفييت وظلمهم!

ان التحشيد ضد ايران ومحاولة اظهارها بانها العدو الاخطر على العراقيين والعرب والسنة تحديدا ويا غيرة الدين! على العرب والسنة عندما تأتي مثل هذه الصرخة مواكبة للتحرك الامريكي المكشوف ضد ايران وسورية وحزب الله لا يبقى امام العرب سوى ان يحسبوا للالف قبل ان يصدقوا هذه الصرخات والنداءات الكاذبة والخادعة!

اقول هذا الكلام وقلبي على العراق الدامي النازف والذي يعد للذبح الطويل من جديد عبر استراتيجيات التقسيم والفدرلة والعرقنة بيد الميليشيات الطائفية القديمة والمستحدثة! اقول هذا وقلبي على الامن القومي العربي الذي يريدون ويخططون ليطلقوا عليه رصاصة الرحمة! اقول هذا واعرف ان ايران التي اعرفها ستكون اقل الخاسرين وان كانت ليست بعيدا عن الخطر وربما الخطأ الاستراتيجي لا سمح الله ان وقعت هي الاخرى في الفخ! واقول للجميع يا جنود العرب ويا جنود العجم ليست هنا ساحة المعركة! فحذار ثم حذار ان تلدغوا مرتين!

■ لا يعيش العرب وطنهم. إنهم مبعثرون على حوافي صحاريهم. فلماذا لا تعبث بأرضهم وحوش الحضارة الفالتة، وتعيث فساداً بواحاتهم النادرة. ذلك هو الوطن المستباح طيلة القرن العشرين. أهله هم الغرباء الدائمون في ربوعه الجافة. خرجوا من إمبراطورية آل عثمان وكانوا فيها شركاء من الدرجات الثانوية، ومع ذلك كانوا يعوضون بقوة الدولة الاسلامية الرافعة لمعالم دينهم، عن استقلالهم السياسي المصادر لسلطة الخلافة. ما دامت هذه الخلافة تدعي تسلسلاً تاريخياً مستظلاً دائماً بتراث الخلفاء المؤسسين الأوائل. ومع ذلك كان وطن العرب واحداً موحداً، منفتحاً على بعضه بدون حدود، كما هي الصحارى بدون آفاق تغلقها أو تحدها.

كان العرب، طيلة خمسة قرون من العصر العثماني، يتنازلون طوعاً عن الانتماء القومي في سبيل إقامة «دار الاسلام» للجميع من المؤمنين، وإن كان التركي وحده هو سلطان السلاطين جميعاً. لكن «دار الاسلام» كانت حقاً إمبراطورية كبرى وعظمى. وقد شكلت قطب التهديد الأول لأوروبا، ومن صميم قارتها الباردة، التي كان يحتل معظم الوسط والجنوب من جغرافيتها. وقد ظل هذا التهديد على شكله القديم المتميز فقط بالتفوق العسكري البشري، إلى أن ابتكر الغرب الأوروبي الطريق إلى نوع التفوق الآخر بالعقل والمعرفة والآلة والتنظيم. حتى انقلب ميزان القوى رأساً على عقب بين «دار الإسلام» و«دار الكفار».

لقد تجمدت الخلافة العثمانية ما بين شكليات التقليد السلطوي لمعالم الخلافة العربية المنقضية، بعد أن انحدرت بها إلى هاويات السلطنة القروسطية المطلقة، وبين انطلاقة الحداثة الغربية التي راحت تداهمها بثمرات التقدم الهائل في معارج التحضر الانساني والمادي، مع الحرص دائماً على صناعة الحرب واحتكار أسرارها، وجعلها سيدة صناعات العصر الأخرى كلها. غير أن اكتشاف الغرب لقوة الحرية رفع أكبر تحد كينوني في وجه إمبراطورية السلطنة العقيمة، المتعفنة بإنجازات الطغيان وتوأمه الدهري الفساد. لكن سقوط العثمانية لم يمنح العرب وطنهم الحر المستقل والموحد. أمسوا أشبه بتركة للإمبراطورية المنهارة. فقد نصّب الاستعمار الغربي نفسه الوصي الوحيد على هذه التركة. راح يوزعها حصصاً بين دولتيه الرئيسيتين آنذاك: بريطانيا وفرنسا. وهكذا شرّع المجتمع الدولي آنذاك أول خارطة تقسيمية عرفها العرب منذ ما قبل تاريخ الدول والإمبراطوريات. إن تقطيع أرض الوطن بحجة إنشاء الدول الحديثة تحت الإشراف المباشر من (حضارة) الغرب وضع الأساس المادي للتقطيع العضوي والعشوائي. يتحول الوطن إلى دويلات وأقاليم ومناطق يلعب فيها العامل الجغرافي دور القاعدة الأساسي لكل التكوينات السياسية التي ستقوم عليها. فلم تنشأ أية دويلة في هذه الخارطة بفعل مكوناتها التاريخية والاثنية والاجتماعية. كان المطلوب في مرحلة الانتداب والوصاية الأوروبية إنشاء مجرد إدارات محلية تساعد الحاكم الأجنبي في تنظيم الشؤون اليومية للمستعمرة.

ثم عندما حلّت مرحلة ما سوف يسمى بالاستقلالات الوطنية لتغير الظروف الدولية عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية، كان على هذه الإدارات المحلية أن تتحول ذاتياً إلى أجهزة دولة، مستعارة عن النموذج الأوروبي السائد. وبما أن هذه الدويلة ليست لها مرتكزاتها الموضوعية في أرضية المجتمع، وكانت لها حمايتها التابعة للمستعمر مباشرة، وقد فقدتها بعد جلاء قواته عن أرضها، فإنه كان عليها الاعتماد على ذاتها فحسب، أي أن تصير إلى نموذج الدويلة التي يحميها عنفها الخاص بها. من هنا تحدّد مصيرها كسلطة باحثة عن حماية لا تجدها إلا بقدر ما تنجح بإعادة إنتاج كيانها كقوة أمنية أولاً، في كل مرة تتعرض فيه فئاتها المسيطرة للتهديد بقوى أخرى منافسة في الداخل أو من حولها. فإذا كان ثمة تاريخ سياسي حديث أو معاصر لسيرة النهضة لا يمكنه أن يغفل عن هذه الحقيقة المركزية، وهي أنه كان تاريخاً للخرائط الجيوسياسية المفروضة على أرضيته المادية والحدثية. ونقول خرائط وليس واحدة فقط بالرغم من ثبات ظاهر لخارطة سايكس بيكو المتهمة بتأسيس التقسيم كالحاضن الأولي والمستقبلي لتطورات الحياة الوطنية والقومية. أما الخرائط الأخرى فكانت تأخذ أشكال المحاور أو استقطابات السلب والإيجاب ما بين الأنظمة الحاكمة، وما ينشأ عنها من جبهات صراع، وحروب أحياناً، فيما بين بعضها أو ضد العدو الاسرائيلي المشترك. فما كان وطناً شاسعاً للحضارة العربية الاسلامية، تحول إلى أوطان سياسوية فحسب، تُعرف بأسماء بعض أقاليمها أو مدنها الكبرى أو أصحابها الحاكمين. ولقد جاء التقسيم ليس كتعددية متآلفة، بل متنافرة متنافية فيما بينها، تنشط جميعاً ضداً على بعضها، كأنما لا يوجد البعض الا كمشروع نفي وإلغاء للآخر. فإن بعثرة العرب جعلتهم جميعاً ضعفاء، لا يحتاجون إلى بعضهم بقدر ما يفضل أكثرهم تجديد التبعات للغريب القوي، على الاستقواء الطبيعي ببعضهملقد اصطدمت ثقافة النهضة المعاصرة بسيطرة مبدأ البعثرة على كل ظاهرة واحدة موحدة طبيعياً وعضوياً. صار يمكن تهديد اللغة الواحدة بتفعيل العاميات المحلية. محاربة الدين بالملل والنحل. تقزيم السياسة المدنية إلى حجم الزعيم المفروض الذي يحسب أن دوره يقتصر على التبشير بالوعود مع العجز عن كشفه لشعبه عما يمكن له أن يفعل ويحقق، وما لا يمكن له ذلك. فكلما اشتد الانحدار نحو القواقع المظلمة يغدو بصيص الضوء الهزيل كأنه الشمس الكونية الساطعة. فالبعثرة ليست جغرافية فحسب، لا يمكنها أن تقيم كيانات بل محاجر ومعتقلات كثيفة أو شفافة لإمكانيات الفرد أو الجماعة. خطر البعثرة أنها تصير كالأمر الواقع ليس المُسلّم به فقط، بل المنسيّ، أسوأ الأمراض العضال هي التي لا يكتشفها أصحابها إلا بعد فوات الأوان، واستبداد الموت بضحيته.

القبول بالبعثرة الجيوسياسية إلى حد التكريس الشعبوي لفلسفة القطريات، أفقد النخب حس المناعة ضد استشراء البعثرة وامتداداتها إلى أنسجة المجتمع. حتى يمكن ألا يصير القطر ودويلته رمز الأمل لبقاء صيغة ما للوحدة؛ إذ يصير القطر الواحد منساقاً في تيار البعثرة إلى مناطق ومذهبيات وإثنيات. فمن يستسلم للتشرذم القومي مآله الانخراط في التشرذم الوطني إلى أصغر الانتماءات وأضعفها؛ ليس الأمريكي والصهيوني والبوشي من يفرضون وحدهم خارطة البعثرة النهائية تحت مصطلح الشرق الأوسط الجديد. هنالك قابليات شعبوية ونخبوية تتعاون معاً على (عقلنة) التقطيع العضوي لمجتمعاتها، كما لو كان التشرذم الخلوي يمثل غاية الحرية والاستقلال. فهل أمسى شعار الاستقلال هو دليل الانفراط الطوعي أو القسري لكل كيان، هل سوف يتحسر الجيل القادم على عصر الدولة القطرية التي ستثير نوعاً من الحنين البائس إلى الطبعة قبل الأخيرة السابقة على انحدار البعثرة إلى قاع الانحلال النهائي لما كان يسمى ذات مرة بعصر المشروع النهضوي؟

الخارطة القطرية المسيطرة منذ ما يقرب من قرن جففت عروق النهضة، قطّعت أوصالها، أحبطت ثوراتها وأذلّت أجيالها الصاعدة، حولتهم إلى نفايات أحلام وأوهام. لم يثبت نضال الوحدة كأساس مركزي لمشاريع التنمية. ولم يتح للأمة أن تنعم بأية ثروة طبيعية، كيما تستخدم على مستوى الحاجة العامة أو النفع القومي الشامل.

واليوم يتبرع النظام العربي بأن يكون الجندي الأول في الفرز المحوري الجديد. تتطوع أركانه للاصطفاف فيما يسمى بمعسكر المعتدلين. وهو في حقيقته معسكر البوشية في جولتها الأخيرة. إنه معسكر الملل والنحل والاقتتالات الأهلية الذي يتم توظيفه لإنتاج أخطر خارطة استقطاب ذاتي عرفه التاريخ الإسلامي، ما بين جناحيه السني والشيعي. إنها خارطة المئة عام من الحروب الدينية التي عرفتها أوروبا وهي تتجاوز المضيق الدموي الشامل ما بين عصورها الوسطى وحداثتها الصاعدة. لكن حقبة الحرب المذهبية الإسلامية لن تؤدي إلا إلى إطفاء آخر البشائر بالتنوير الموعود.. أو أن بوادرها سوف تنشل هذه الأمة قبل الفاجعة المطلقة.

«الشرق الأوسط» البوشي:

خارطة مذهبية عنصرية بديلاً عن وطن العرب والإسلام

مطاع صفدي *

* مفكر عربي مقيم في باريس

■ يجب التفريق بين الذكورية والرجولة فالاولى مصطلح ينبثق من معطيات طبيعية جسدية يحملها الانسان بحكم ولادته والثانية مفهوم يكتسبه وخصائص يمتلكها نتيجة لعلمية تربوية طويلة يتم فيها تلقين الفرد المعاني المرتبطة عادة بمفهوم المجتمع لمعنى سلسلة طويلة من الصفات والافعال السلوكية التي تلتصق به وبشخصيته. ارتبطت هذه المصطلحات بالافراد والمجتمعات ولكن نجد ان الانظمة السياسية وخاصة التسلطية تتقمص ادوارا مكتسبة وتحاول ان تتلبس شخصية معينة تمدها بها يزودها به موروثها الاجتماعي او الديني او الثقافي.

يطرح النظام السعودي نفسه كنظام ذكوري يحاول اثبات رجولته في طريقة تعامله مع المجتمع الداخلي والدولي والاقليمي. وبما انه نظام ذكوري بالمعنى الحرفي للكلمة اي انه مكون من حلقة كبيرة من البشر الذين ولدوا ذكورا الا انه دوما يسعى الى تثبيت وتقمص معنى الرجولة المرتبطة بالجسد الذكر.

ويتضح ذلك من خلال السرد التاريخي لتأسيس الدولة وهويتها التي تجد طريقها الى الكتب المدرسية والاعلام والمحافل والمجالس والتي تستعرض يوميا لتذكر ليس فقط برجولة النظام بل ايضا بذكوريته. ويظهر النظام في هذه السرديات وكأنه يعاني من مشكلة ومعضلة الرجولة الخارقة المتضخمة اي hypermasculinity مما يؤدي الى تداعيات وخيمة ليس فقط على المجتمع الداخلي بل ايضا على علاقته مع محيطه العربي والاسلامي والعالمي.

يتضح هذا التضخم في استعراض المراسم والطقوس السياسية التي تصور السلطة المذكرة وكأنها المثل الاجتماعي الارقى لمفهوم الرجولة حيث الوجاهة والابهة والخيلاء وكذلك في حلقات الاستجداء وخاصة في المجالس الرسمية عندما تتوسل الرعية وتقدم سلسلة من المطالب والمعونات من الرجل الشهم الكريم وكذلك في سرديات الكرم الذي توزعه السلطة على الحكومات الخارجية ومنها ما ورد مؤخرا عن مساعدات سعودية لفلسطين ولبنان وتفسر هذه المساعدات ليس من باب الاستراتيجية السياسية بل من باب مسؤولية الرجولة المتمثلة في عدد قليل من المحتكرين للقرار السياسي. فالمكرمات الملكية تأتي من منطق تجسيد الرجولة وليس من منطلق الاستحقاقات الاستراتيجية وتوازن القوى في المنطقة.

وتجد الرجولة الخارقة المكان الملائم لها في محافل افتتاح مشاريع التنمية والمراكز الثقافية والبنية التحتية حيث تتحول هذه الفرص الى مهرجانات لاستعراض بعض المفاهيم الثقافية المتعلقة بالرجولة كالعطاء اللامتناهي وخدمة الرعية وتوفير العيش الرغيد لافرادها وبذلك تتحول هذه المشاريع الاقتصادية والهادفة الى تنمية البنية البشرية والتحتية الى مهرجانات تذكر المواطن بذكورية النظام ورجولة السلطة. تماما كما يحصل في المجالس المعروفة والتي يظهر فيها صاحب السلطة بمظهر المعطاء الكريم صاحب الثراء اللامتناهي والذي يوزع ليس من مبدأ حق الرعية في هذا الثراء، وانما من مبدأ رجولة النظام ومتطلباتها.

تصبح صور الرجولة في مثل هذه المحافل صورة محتكرة لعلية القوم الذين يملكون مادتها الخام والتي اهمها القدرة الاقتصادية اللامتناهية فتتحول الرجولة من مفهوم تراثي تربوي الى سلعة محتكرة من قبل اقلية معروفة تبرز وكأنها الوحيدة بين اطياف المجتمع وخاصة ذكوره الكثر القادرة على تجسيد معانيها في السلوكيات المختلفة.

احتكار السلطة لمفاهيم الذكورة والرجولة تتجسد ايضا في حفلات الاعراس حيث تظهر بشكل واضح وصريح للمشاهدين والمدعوين الذين يشهدون مهرجانات من نوع آخر كلها تصب في تكريس معان لها ابعاد اكثر من البعد الاحتفالي للاشخاص المعنيين بحفلات الزواج وتصبح حديثا للاستهلاك في المجتمع بكافة اطيافه وتمثيلا صريحا للسلطة المذكرة.

هناك تداعيات اجتماعية حقيقية وواقعية يشعر بها المجتمع كشاهد او متفرج على مهرجانات السلطة الذكورية بكافة انواعها بدءا من أخبار المعونات الاقتصادية المصدرة الى الخارج او المستهلكة في الداخل ومحافل المكارم الملكية وافتتاح مشاريع التنمية.

اولا: تخلق مهرجانات السلطة الذكورية حال احباط شديد في نفوس ذكور المجتمع والذين يقيسون رجولتهم بمقياس السلطة وبما انهم لا يستطيعون مجاراة الاستعراض اليومي الذي يجسد معاني الرجولة يشعر هؤلاء بالتقاعس وعدم القدرة على الوصول ولو الى بعض درجات الرجولة. ليس لهؤلاء القدرة الاقتصادية لتحويل مفهوم الرجولة الى حقيقة يعيشونها خاصة وانها تحولت الى سلعة لا يقدر الجميع على استهلاكها والتباهي بها.

ثانيا: تحجم السلطة الذكورية رعيتها بل هي تنفيها من مجالات اثبات الذكورة والرجولة المرتبطة بها لانها تتصدر دوما المحفل اما بشكل مباشر او عن طريق حلقات صغيرة من المرتبطين بها. ويتسابق هؤلاء كل حسب رتبته وموقعه في هرم السلطة لاثبات ولو بعض من رجولته والتي تأتي عادة عن طريق تقلد المناصب. ويشتد التنافس بين المؤهلين لهذه المناصب لا للارباح الاقتصادية التي تأتي مع المنصب بل لاثبات رجولتهم واستعراضها على الملأ تماما كما يحصل في اعلى الهرم. وبما ان حلقات السلطة ضيقة عادة نجد ان التنافس على الوصول الى منصب ما يحتد ويشتد كلما كان المنصب يوفر لصاحبه اكبر قدر من الاستعراض. يبحث المتنافسون دوما عن ذلك المكان الذي يوفر اكبر قدر من الاستعراض ويعيش الكثير من هؤلاء على امل الوصول الى السلطة عندما يتم لهم ما يطمحون اليه. وفي حالات الطفرة الاقتصادية كالتي تشهدها السعودية حاليا نجد ان الطموحات الاقتصادية والاثراء قد يتوفران للكثير من الذكور ولكن يبقى اثبات الرجولة المستعرضة حيزا ضيقا لا تناله الا اقلية تتسلط الهرم بصعوبة وبعد معاناة طويلة وقد يعيش المرء فترة طويلة وهو يعلل النفس بمنصب قد يناله او قد يتجاوزه لصالح ذكر آخر.

ثالثا: السلطة ذات الرجولة الخارقة المستعرضة يوميا تؤثر على العلاقات الشخصية بين الافراد وخاصة بين الرجال والنساء حيث يتبنى الجميع النمط المستعرض ويطمح هؤلاء ان يصبح هذا النمط معمما على الجميع.

عندما تتحول الرجولة الى سلعة لا يطمح الرجل فقط بأن يمتلكها ويستهلكها بل تطمح النساء ايضا في ان تتوفر معطياتها في الحلقة الصغيرة من الرجال المحيطين بهن. وهنا تصبح رجولة السلطة مطلبا تبتغي النساء ان يتحقق في الاب والزوج والاخ لانهن ايضا يتبنين مفاهيمه بدون وعي ومن خلال كونهن مشاهدات للاستعراض الذكوري ومستهلكات لصوره وسردياته وسلوكه، وان لم يستطع الرجل العادي ان يقلد رجولة السلطة ويقتبس بعض مفاهيمها نراه يصبح هو نفسه سلعة غير مرغوب فيها وليس لها ثمن مرتفع في سوق الذكور. ونلاحظ ان ارتفاع نسبة العنوسة وحالات الطلاق والتفكك الاسري الذي تشهده السعودية بالاضافة الى ارتفاع نسب الادمان والهروب من الواقع وكذلك حالات الشذوذ المعلنة وغير المعلنة تمثل انماطا وسلوكيات اجتماعية تعكس مأزق الرجولة المفقودة في بعض خلايا المجتمع. وقد يلجأ الشباب الى سلوكيات خارقة كالتفحيط والمطاردات لاثبات رجولة معاكسة لتلك الرجولة السلطوية النمطية التي يفرضها النظام من خلال اعلامه وادبياته واعلاناته الروتينية، يبحث هؤلاء عن فتوة جديدة تقلب مفاهيم الرجولة بشكل عكسي قد يؤدي الى الجريمة والمخدرات وتدمير النفس بحثا عن اثبات الذات خاصة وان انسدت المرافق الاخرى لاثبات الرجولة المثالية والتي تحتكرها السلطة ذاتها.

رابعا: من انعكاسات رجولة النظام الخارقة التي تمولها ارقام واردات النفط الخيالية البحث المستمر في اطياف المجتمع الشابة عن قنوات اخرى لاثبات المرجلة بالتعاطف مع تيارات معادية للسلطة تعتمد في ادبياتها على الطعن في السلطة الذكورية والتشكيك في رجولتها. ونرى ذلك في بعض الادبيات الجهادية والتي تفكك مفهوم رجولية السلطة بالتذكير بعدم قدرة السلطة الرجل على الدفاع عن الارض والحريم في الجزيرة حيث يكثر ذكر مركزية استباحة الارض والمرأة في بلاد الاسلام نتيجة تخاذل السلطة السياسية واعتمادها على الغريب. وبينما تصور السلطة ذاتها وكأنها حامية للعرض والارض نرى ان الادبيات الجهادية تقلب هذه المنظومة رأسا على عقب وتظهر ان السلطة الذكورية نفسها هي المنتهكة للعرض والارض. تلقى هذه الادبيات صدى بعيدا في نفوس من يطمح ان يخلد رجولته على ساحة ضيقة محتكرة من قبل السلطة ورجالها فهي تخلق حيزا مستقلا لاثبات الذات في سوق اختطفتها السلطة واشترت معظم اسهمها. وان لم يحصل لها الفرصة ان تثبت رجولتها في السوق المحلية نجد انها تهاجر الى مواقع اخرى بحثا عن ساحة خارجة عن حدود السلطة وهي تعرف جيدا ان بطولاتها ستنتقلها وسائل الاعلام التقليدية والجديدة التي وفرتها الشبكة العنكبوتية.

تكريس النظام السعودي لمفهوم الرجولة الخارقة واحتكاره لهذه الرجولة من خلال امبراطورية اقتصادية واعلامية خلق وضعا متشنجا يعيشه المجتمع بكافة اطيافه وطبقاته الاجتماعية وقد افرز هذا الاحتكار افرازات غريبة على صعيد العلاقات الاجتماعية والسياسية ولن تخف حدة التشنج الا اذا كانت هناك محاولة جادة من قبل السلطة والمجتمع لتخفيف حدة التضخم والاحتكار للرجولة بمفاهيمها المعقدة. هذا التخفيف يعتمد اولا واخيرا على كسر الاحتكار.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

النظام السعودي ومعضلة الذكورية الخارقة

د. مضاوي الرشيد *

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر: مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير: عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637

email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 723152

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364